

تاريخ الإسلامى لمديرية مردان فى شبه القارة الهندية

Islamic History of District Mardan in the Indian Subcontinent

Dr. Aijaz Ali Khoso

Assistant Professor at University of Sufism & Modern Sciences, Bhitshah.

Muhammad Hammad

Ph. D Scholar Faculty of Usuluddin, Department of Dawa & Cultural, International Islamic University, Islamabad

Dr. Muneer Ahmed

Head of department Islamic education Alhamd Islamic University Islamabad

Received on: 17-05-2022

Accepted on: 19-06-2022

Abstract

The purpose of this study was to explore the Islamic history of District Mardan. Further this study explains the culture and civilization of the peoples of Mardan. The Major objective of the study is to determine the impact of Islam on the culture of natives of Mardan. Islam arrived in the Indian subcontinent in the 7th century when the Arabs conquered Sindh and later arrived in North India in the 12th century via the Ghurids conquest and has since become a part of India's religious and cultural heritage. The District Mardan. emerged as a different name after the partition of the sub-continent in 1947. Before partition pandits from all over India came to visit the District Mardan without any problems. The study is significant for the historians, academicians, and researchers in understanding the existing cultural and religious values, beliefs, and practices in the natives of District Mardan. The nature of this study was qualitative and historical. Document analysis was used research tool in this study. Data were analyzed through qualitative ways.

Keywords: Islamic History, Civilization, Culture, Natives, lifestyle, Religious Impacts on society in District Mardan.

التمهيد:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد سيد الأنبياء والمرسلين وعلى آله وأصحابه المهادين المهتدين ومن اقتفى أثرهم إلى يوم الدين وبعد.

فمن المسلم به أن: "فن التاريخ من الفنون التي تتداولها الأمم والأجيال، وتشد إليه الركائب والرحال، وتسمو إلى معرفته السوقة والأغفال، وتتنافس فيه الملوك والأقبيال، ويتساوى في فهمه العلماء والجهال"، قد جاء ذكر الوقائع والأحداث، والمدن والقرى، مراراً في بيان تاريخ الأقسام الصالحة والعاصية في القرآن الكريم؛ لأن المذاهب والأديان هي أساس للحضارة الإنسانية في علم التاريخ، سواء كانت سماوية أم غير سماوية. وكذلك المدن والقرى تؤثر في تشكيل الحضارة والثقافة، خاصة جغرافيا المدن والقرى

تأتى بالخصائص والعادات فى حياة الإنسان، ثم وقوع الأحداث والوقائع فيها التى تشكل التاريخ هى جزء أساسى فى فن التاريخ.

وتاريخ الأمة الإسلامية عامر بذكر المدن والقرى، والأحداث والوقائع فيها، مثل: بغداد والقاهرة وقرطبة والفسطاط وغيرها... وأحد من هذه المدن الإسلامية هى مدينة "مردان" التى تقع فى شرق مدينة بيشاور فى إقليم خيبر بختونخواه بباكستان، وتاريخ هذه المدينة أيضاً يشتمل على الأحداث والوقائع، والشخصيات البارزة، وغيرها. فبتوفيق الله - سبحانه وتعالى -، بدأت البحث عن تاريخ مديرية مردان حتى يستفيد من تاريخها بقراءة اللغة العربية ويزيد من تراثها، ولقد عنونت بحثى بـ " تاريخ مدينة مردان (1433هـ-1431/1818 م -2010م) دراسة موضوعية وصفية".

المطلب الأول: التعريف بمردان وجغرافيتها

من المعلوم أن التاريخ سجل ووثيقة لأحداث الماضى يجمع فى طياته كثيراً من المعاني والدروس التى تستفيد منها الأجيال القادمة. فالموضوع الذى كلفت بالبحث عنه حول مدينة قديمة عامرة بالعلماء والوجهاء ولها ولأصحابها دور بارز فى المساهمات العلمية على مدار التاريخ وهى ظلت عاصمة لمختلف الحكومات لمدة طويلة، كما أنها معبر للحضارات القديمة، منطقة مردان تعد أكبر مدينة بعد بيشاور فى إقليم خيبر بختونخوا (KHYBER PAKHTUNKHWA) وهى تقع فى الشمال الغربى لباكستان، وكذلك هذه المدينة أعظم من حيث عدد سكانها، وشهيرة منذ زمن قديم بسعة الأرض بالنسبة إلى المدن الأخرى، ووفرة أسباب الحياة فيها.⁽¹⁾

أولاً: الحدود الأربعة لمدينة مردان ومساحتها:

إن مدينة مردان واقعة على ثلاثين درجة (34°) بطول البلد، وأما عرضه لها سبعون درجة (70°)، وترتفع هذه المدينة 928 قدم فوق سطح البحر، ومساحتها 1211 ميل مربع (Mile).⁽²⁾

المديريات بجنب منطقة مردان: تقع مدينة "صواي" وغر السند فى شرق مردان، ومدينة "جارسده" [CHARSADDA] ومنطقة واقعة فى غربها، وأما فى شمالها تقع مدينة ملاكند ومدينة سوات، وفى جنوبها تقع مديرية نوشهره.⁽³⁾

ثانياً: مدينة مردان بوابة المناطق الشمالية:

وهذه المدينة لها أهمية كبيرة فى الإقليم من خلال الجانب الجغرافى والسياسى بكونها بوابة للمناطق الشمالية فى الإقليم، وسكنى لقبيلة يوسف زائى من القبائل البشتونية" قد ذكر الشيخ محمد شفيق صابر من خلال أهمية هذه المدينة كلاماً بأن يقول: إن مدينة مردان كانت "لها مكانة كبيرة فى كل عصر سياسياً وجغرافياً، وهذه المنطقة تقع مركزاً رئيسياً من الخوانين لقبيلة يوسف زائى، وكذلك يمر من داخلها الشارع الرئيسى إلى مناطق الشمالية".⁽⁴⁾

ومن الممكن أن نقول: لا يوجد الطريق إلى المناطق الشمالية إلا بها، والمناطق الشمالية تشتمل على تسع مديريات، الأولى: مدينة ملاكند [MALAKAND- ملاكند] والثانية: مدينة سوات، والثالثة: مدينة دير الأعلى، والرابعة: مدينة دير السفلى، والخامسة: مدينة جترال [CHIRAL- جترال]، والسادسة: مدينة شانكله [SHANGLA- شانكله]، والسابعة: مدينة

باجور [باجور-BAJAUR]، والثامنة: مدينة بونير، والتاسعة: المدينة الأخيرة لإقليم خيبر بختونخواه "كوهستان" التي اتصلت بالإقليم الخامس جلجت - بلتستان [گلگت-بلتستان--GILGIT-BALTISTAN]، وهذا الإقليم، أي: "جلجت بلتستان" يشتمل على سبع مديريات فى الشمال الأقصى بباكستان، فظهرت لنا بهذه الملحوظة أهمية منطقة مردان، لأنها بوابة لهذه المناطق المتجاورة بها⁽⁵⁾.

ثالثاً: تسمية مردان:

سميت هذه المدينة باسم مردان وذلك لأسباب عديدة، قد اختلف المؤرخون فى تسميتها، فوجدت أربعة آراء من خلالها، وهي كالتالى:

الرأى الأول:

ذكر رائى بمادر كوبال فى كتابه أن هذه المنطقة كانت سميت فى العصر القديم باسم "دهيرى [دَهِيرى -DAIRI] مردان" فقال "إن منطقة مردان كانت تحت سيطرة قبيلة دلازاك وكانت معمورة وموسومة بنفس الاسم فى ذلك الزمان، وبقيت هذه التسمية حتى زمن الحروب والحوادث التي حدثت بهذه المنطقة مما تفضى إلى طرد قبيلة دلازاك وتهجيرهم (دَهِيرى -DAIRI)"⁽⁶⁾.

الرأى الثانى:

إن قبيلة يوسف زائى قد تنوعت إلى القبائل الكثيرة، وعمروا أهلها المدن الكثيرة مثل مردان، وسوات، وجارسدة، ودير وغيرها من المناطق الشمالية بإقليم خيبر بختونخواه، وسميت هذه المناطق التي أعمرها بأسماء سادة قبائلهم، وزعمائهم، هذا ما أشار إليه الشيخ "الله بخش يوسفى" سبب تسمية هذه المنطقة حيث قال:

"إذا دققنا النظر فى المناطق التي سيطرت عليها قبيلة يوسف زئى نجد أنهم نسبوا كل قرية أو مدينة التي عمروها وشيدوا بناها إلى زعماء قبيلتهم مثل مدينة رستم نسبت إلى رستم بن عنایت كمال زائى ومردان نسبت إلى بانيتها مردان بن جلال ماني زائى، وهوتى إلى هوتى بن عالى سالار زائى"⁽⁷⁾.

الرأى الثالث:

فى الأصل أن الشيخ بير جول بن الشيخ مديح الذي كان معروفاً بالعلم والزهد والصلاح فى هذه المنطقة، وقد أمر الشيخ أصحابهم ببناء هذه المدينة، وهؤلاء الرجال كانوا مشهورين بالبسالة والشجاعة، فاشتهروا باسم مردان، أي: الرجال فى الشجاعة، وسميت هذه المدينة باسم مردان نسبة إليهم⁽⁸⁾.

الرأى الرابع:

إن قبيلة مندر [مندر- Mandar] تعد من القبائل البشتونية التي تسكن فى منطقة مردان، فسميت باسم هذه القبيلة التي تسكن فيها، ثم شاعت هذه اللفظة [مندر] على ألسنة الناس، فتغيرت هيئتها بكثرة استخدامها من مندر إلى "مردان". ولكن الشيخ "الله بخش يوسفى" قد أنكر هذا الرأى، وقال فى حاشية كتابه "يوسف زائى افغان": "بعض الناس يقولون فى

تسمية مردان، بأن هذه الكلمة متغيرة من (اسم) الجد الأعلى، أي: " مند " أو ابنه، أي: مندر [مندّر] لقبيلة مندر، هذا ليس بصحيح؛ لأن قبيلة يوسف زائي لم تعمر موضعاً بهذا الاسم بعد خروجها من أفغانستان، وبالزيادة أن هذه الكلمة تجد اليوم بدون تغيير، فكيف من الممكن أن تكون هذه الكلمة متصرفة من مندر إلى مردان؟⁽⁹⁾

المطلب الثاني: الفتح الإسلامى لمردان

من المسلم به أن الدولة الإسلامية "جمهورية باكستان"، تقع في شبه القارة الهندية جنوبي آسيا بين دائرتي العرض أربعة وعشرين وستة وثلاثين شمالاً، وخطي الطول واحد وستين وخمس وسبعين شرقاً. ويحدها من الشرق الهند حيث تقع سهول هندوستان شرقي إقليم البنجاب الباكستاني، وتقع بلاد راجستان أو الصحراء الهندية شرقي ولاية السند. وأيضاً يحد باكستان غرباً أفغانستان وإيران حيث يقدر طول حدودها مع الدولة الإسلامية الأولى بنحو 2500 كم، ومع الثانية بنحو 900 كم، وتطل باكستان بواجهة بحرية على بحر العرب حيث يقع ميناء كراتشي قرب نهر السند، وتبلغ مساحة البلاد 803، 943 كم.⁽¹⁰⁾

إن الإسلام قد دخل في شبه القارة الهندية عن ثلاثة طرق.

الطريق الأول: ومن أهمها شواطئ الهند الجنوبية، وهو الطريق البحري للتجار العرب في سواحل مليبار. والطريق الثاني: مناطق السند الواقعة على شواطئ الهند العربية الشمالية في بحر العرب، وهو الطريق البري في بلاد السند للفاتحين المسلمين العرب، حيث دخل من هذا الطريق محمد بن قاسم الثقفي في عام 92هـ فاتحاً في ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي.⁽¹¹⁾

والطريق الثالث: مناطق الحدود الشمالية الغربية لأفغانستان، وإيران، وهو أيضاً طريق بري لهذه المناطق، ولكن من الفاتحين المسلمين العجم، وهو "السلطان محمود الغزنوي" الذي دخل من هذا الطريق في نحو سنة 392هـ.⁽¹²⁾

أولاً: الإسلام في منطقة باكستان في عهد الصحابة:

من المعروف أن الإسلام قد دخل إلى هذه الأراضي التي تقوم عليها حالياً الدولة الباكستانية عن طريق التجار الذين كانوا يقدون إلى السواحل الهندية، وقد بدأت الحملات البحرية كغزو الشواطئ الشمالية الغربية للهند حول بومباي والديبل (ويسمى هذا بمكان كراتشي اليوم) منذ خلافة عمر بن الخطاب و عثمان بن عفان - رضي الله عنهما، وعندما كان الحكم بن عمرو الغفاري رضي الله عنه، والياً على خراسان أرسل المهلب بن أبي صفرة في عام 44هـ لغزو السند، وهو الآن إقليم في الدولة الباكستانية فنال شيئاً من النجاح لكن لم يستطع المضي في مهمته للظروف التي كانت في عاصمة الخلافة. وعندما استقرت الأمور في أيام عبد الملك بن مروان وولى الحجاج العراق، أرسل سعيد بن أسلم بن زرعة عاملاً له على نهر السند فما لبث أن قتل. فولى الحجاج النهر جماعة بن سعر التميمي فغزا وفتح لكن وافاه الأجل قبل اكتمال عام على قدمه. ثم أرسل الحجاج قريبه (ابن ابن عمه) وصهره محمد بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي في عام 89هـ الموافق 708م.⁽¹³⁾

ثانياً: الإسلام في منطقة مردان في عهد محمد بن القاسم:

دخل الإسلام بلاد السند من بابين أحدهما وهو باب مدينة ملتان، قد دخل الإسلام في هذه المناطق بباب الملتان، لأن مدينة ملتان كانت في ذلك الوقت ضمن إقليم البنجاب، وكانت بوابة لدخول المناطق الشمالية، ومن الإضافة أن مدينة مردان أيضاً كانت مندرجة تحت إقليم البنجاب، ذلك نجد أن المؤرخين قد تحدثوا عن دخول الإسلام فيها بذكر مدينة ملتان لكونها بوابة لهذه المديرية الشمالية، هذا ما صرح الشيخ محمود قاسم، فلاحظ عبارته، وهو يقول: "كانت مناطق مردان جزء من إقليم بنجاب من (1265هـ)/(1849م) إلى (1319هـ) / (1901م)...، وكانت مدينة مردان منطقة من مديرية بيشاور في ذلك الوقت، ثم أسست مردان مديرية منفصلة في سنة (1356هـ) / (1937م) وجاء في كتب التاريخ أن محمد بن القاسم قد جاء إلى هذه المناطق بطريق نهر يباس، ثم قطع نهر يباس إلى الملتان فقاتله أهل الملتان، وحصروهم محمد ونفذت أزواد المسلمين فأكلوا الحمر...، ولما عطش (الهندوس) نزلوا على الحكم، فقتل محمد المقاتلة وسي الذرية وسي سدنة البد وهم ستة آلاف وأصابوا ذهباً كثيراً، فجمعت تلك الأموال في بيت يكون عشرة أذرع في ثمانية أذرع، يلقي ما أودعه في كوة مفتوحة في سطحه، فسميت الملتان: نهر بيت الذهب، وكان بد الملتان بدأ تهدى إليه الأموال وتنذر له النذور ويحج إليه أهل السند فيطوفون به ويحلقون رؤسهم ولحاهم عنده...، قالوا: ونظر الحجاج فإذا هو قد أنفق على محمد بن القاسم ستين ألف ألف، ووجد ما حمل إليه عشرين ومائة ألف ألف، فقال: شفيينا غيظينا وأدركنا ثأرنا و ازددنا ستين ألف ألف درهم ورأس داهر". (14)

والباب الثاني لدخول الإسلام في هذه المنطقة كانت بوابة مملكة أفغانستان وهي تقع بالجانب الشمالي، هذا ما أشار إليه الشيخ البلاذري أن الإسلام قد جاء في هذه المديرية في عصر محمد بن القاسم إذا فتح بلاد السند، ثم ذهب بالفتوحات إلى منطقة قندهار وكشمير، ومن الملاحظة أن منطقة قندهار تقع حالياً بأفغانستان، وليس بممكن من هناك الذهاب إلى كشمير إلا بمرور بمدينة بيشاور التي تقع كانت مديرية لمنطقة مردان؛ لأنها كانت مندرجة تحت هذه المديرية، وإليك عبارته: "وقد أوغل محمد بن القاسم في شمالي السند إلى مدينتي بيلمان وقندهار حتى وصل إلى أقصى حدود كشمير التي كانت تجاور الترك، وقيل إنه بلغ بلاد الكرج، ولم يتجاوز جيش مسلم حدود ما وصل إليه ذلك القائد الشاب حتى أيام الغزنويين، ومع ذلك دارت الأيام على بطل فتوح السند محمد بن القاسم نتيجة اختلاف الخلفاء المتعاقبين من بني أمية في الحب والبغض واصطناع الأنصار". (15)

ولكن أنكر المؤرخ بهذا الرأي بأن الإسلام دخل في عهد محمد بن القاسم التقفي في إقليم خيبر بختونخوا، وهو يقول: "في الحقيقة أن محمد بن القاسم فتح 92هـ/711م الإقليم السند، وفتح الرياسة بماولبور، ومنطقة ملتان في 94هـ/713م، ولكن ما جاء أحد من الفاتحين المسلمين منهم إلى الإقليم سرحد، (أي: الإقليم خيبر بختونخوا) وما كان هذا الإقليم إلا تحت حكومة الكفار". (16)

ثالثاً: الإسلام في منطقة مردان في عهد محمود الغزنوي:

وحين نذر السلطان محمود الغزنوي نفسه الجهاد عام 388هـ، ونشر الإسلام، ومزق فيها شمل الراجاوات كل ممزق وحطم أصنامهم، وفتح كشمير وملتان، وجميع البنجاب، ومن المعلوم أن مدينة كانت داخلة تحت الإقليم البنجاب؛ لأن محمود الغزنوي قد دخل في هذه المناطق بطريق أفغانستان، هذا ما جاء في تاريخ الدول الإسلامية، بأن: "فتح السلطان محمود كشمير ودهلي وأقام ولاية من قبله في لاهور وأحكم توطيد الحكم الإسلامي في جميع البنجاب فغدا مستقراً ثابتاً منذ ذلك الوقت، وقد شملت الدولة الغزنوية أيام السلطان محمود الملتان وجزءاً من السند كما امتدت إلى العراق الفارسي في الغرب وضمت كل خراسان وطخارستان وعاصمتها بلخوجزءاً من بلاد ما وراء النهر في الشمال و سجستان في الجنوب". (17)

المطلب الثالث: مردان عبر العصور الإسلامية بإيجاز

أولاً: أثر الإسلام على أهل شبه القارة الهندية

حين ظهر الإسلام ودخل العرب في دين الله أفواجاً كان منهم هؤلاء التجار والبحارة العرب من الحضارة وغيرهم، فحملوا معهم دينهم الجديد إلى البلاد التي يتعاملون معها، وكان من الطبيعي أن يتحدث هؤلاء في حماس وإيمان عن دينهم الجديد، وعن الرسول الذي ظهر في بلادهم، يدعو الناس إلى التوحيد والإخاء والمساواة والمعاملة الحسنة بين الناس جميعاً، ومن المعلوم أن المسلمين بشبه قارة جنوب آسيا قد اتصلوا عن طريق التجارة حيث كان التجار يقدمون إليها من الجزيرة ومنطقة الخليج، ولكن في الأصل كان الناس حينئذ من التفرقة ونظام الطبقات القاسي الذي تقوم عليها ديانتهم، فكان حديث التوحيد والمساواة نعمة جديدة يحلوهم أن يسمعوها، وأن يقارنوا بينها وبين ما هم فيه من أوضاع التفرقة وأثقالها، وكانت النتيجة أن تتفتح القلوب لهذا الدين ويقبل الناس عليه ليتخلصوا من العناء النفسي والاجتماعي الذي كانوا يعانونه، كما ينفضون عنهم الوثنية الهندوسية والخرافات والأساطير..، ولذا وجدوا الإسلام في الهند أرضاً خصبة سهلة، وأصبح في كل ميناء أو مدينة اتصل بها المسلمون جماعة اعتنقوا الإسلام، وأقاموا المساجد، وباشروا شعائرهم بحرية تامة لما كان للمسلمين والعرب في ذلك الوقت من منزلة عند الحكام باعتبارهم أكبر العوامل في رواج التجارة الهندية التي كانت تدر على هؤلاء الحكام الدخل الوفير. (18)

وكان الله في الأصل يبتسمون إلى القبائل المختلفة من وسط آسيا. و"من خلال الفترة 1206-1526) حكمت خمس سلالات مختلفة المنطقة ثم جاءت فترة الحكم المغولي (1526-1707م) واستمرت سلطة المغول ولو اسمياً حتى 1807م". (19)

ثانياً: مردان في عهد الحكم بن عمرو الغفاري رضي الله عنه

قبل أن ندخل في البحث من الضروري أن نذكر شيئاً قليلاً عن شخصية المهلب بن أبي صفرة الأزدي و"هو يكنى أبا سعيد، ولد عام الفتح في عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - وإن أباه وفد على أبي بكر ومعه عشرة من أولاده، وكان المهلب أصغرهم فنظر إليه عمر فقال: لأبي صفرة هذا سيدهم وأشار إلى المهلب، وأنه مات وهو بن ست وسبعين سنة وهو" وكان أحد رجال الحكم بن عمرو". (20)

وفي الأصل أن المهلب بن أبي صفرة الأزدي قد فتحت منطقة مردان تحت قيادته في عام 44هـ/664م، هذا ما أشار إليه

صاحب "الكامل في التاريخ، بأن يقول: "فيها غزا المهلب بن أبي صفرة ثغر السند فأتى بنة والأهواز، وهما بين الملتان وكابل، فلقى العدو وقاتله، ولقي المهلب ببلاد القيقان ثمانية عشر فارساً من الترك فقاتلوه فقتلوا جميعاً، فقال المهلب: ما جعل هؤلاء الأعاجم أولى بالتشمير منا! فحذف الخيل، وكان أول من حذفها من المسلمين، وفي يوم بنة يقول الأزدي:

ألم تر أن الأزدي ليلة بيتوا
ببنة كانوا خير جيش المهلب". (21)

وجاء في كتابه "فتوح البلدان" قوله: "كان معاوية بن أبي سفيان حاكماً في عام 44هـ، والمهلب بن أبي صفرة فتح هذه المناطق (التي كانت تحت إقليم سرحد اليوم) وأتى بالفتوحات إلى منطقة بنة والأهواز، وهما تلحقان بملتان وكابل". وإلى هذا أشار الدكتور عبد المنعم النمر بالألفاظ الموحية وهو يقول: "كان خليفة المسلمين في بغداد يمد ظله على كل البلاد الإسلامية شرقاً وغرباً، وشمالاً وجنوباً، وحين كانت له قوة تؤيد ظله وتؤكد نفوذه تظل هذه البلاد خاضعة لكلمة العاصمة بغداد" فهذه التصريحات التي ذكرت فيما قبلها ناطقة بأن المسلمين قد سكنوا الساحل الغربي الهندي قديماً وازدادوا فيه عدداً وثروة. (22)

ثالثاً: مردان في عهد محمود الغزنوي

من المعروف أن الإسلام قد جاء في الهند وباكستان على يد محمد بن القاسم كما جاء من خلاله بأنه: "دخل في الهند والسند أول ما دخل على يد محمد بن القاسم الثقفي المتوفى سنة 98هـ وذلك في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك" إن السلطان محمود الغزنوي "دخل الهند سبعة عشرة مرة، وجاس البلاد، وغنم أموالاً، ونحن نقتصر على أشهر غزواته، فمنها: أنه قصد الهند سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة، فنزل على مدينة بيشاور". (23)

وذكر الدكتور عبد المنعم في كتابه "تاريخ الإسلام في الهند" أن محمود الغزنوي "فلما فرغ يمين الدولة (محمود الغزنوي) من أمر جيبال رأى أن يغزو غزوة أخرى، فسار نحو ويهند، فأقام عليها معاصراً لها، حتى فتحها قهراً، وبلغه أن جماعة من الهند قد اجتمعوا بشعاب تلك الجبال عازمين على الفساد والعدا، فسير إليهم طائفة من عسكره، فأوقعو بهم، وأكثروا القتل فيهم، ولم ينج منهم إلا الشريد الفريد، وعاد إلى غزنة سالماً ظافراً". (24)

وهكذا قال الشيخ مشهور بن مرزوق: "سار السلطان محمود إلى ويهند فحاصرها وافتتحها وبعث العساكر لتدويخ نواحيها فأثخنوا في القتل في أوباش كانوا مجتمعين للفساد مستترين بخمر الغياض فاستلحموهم ورجع السلطان محمود إلى غزنة" ولكن الفاتح العظيم محمود الغزنوي - رحمه الله - قد فتح منطقة مردان في سنة 399هـ/ 1008م بطريق ملتان، لأنه قد ذهب أولاً إلى مديرية ملتان لفتحها، ثم تركها، وتوجه إلى مدينة "بيشاور" كما صرح الدكتور عبد المنعم النمر في كتابه "تاريخ الإسلام في الهند، وهو يقول: "في سنة 399هـ/ 1008م خرج محمود (الغزنوي) من غزنة لإخضاع، أندبال، نائيا، وكان قد حاربه وتعقبه حين سار إلى ملتان، ولكنه فر إلى كشمير، وتركه محمود، وسار إلى ملتان، ولما علم أندبال بخروج محمود (الغزنوي) أسقط في يده، ثم رأى أن يرأسل ملوك الهند، ويستعين بهم لصد هذا الغازي المسلم الذي يعتبر خطراً عليهم جميعاً، فاستجاب له ملوك أجين، أجمير، دهلي، وأرسلوا جيوشهم إلى بنجاب، وعسكر الجمعان في صحراء بيشاور، وكانت جيوش

الهنوسين تتزايد يوم بعد يوم". (25)

و"اختار محمود من عساكره خمسة عشر ألفا وسار لقتال جيبال فهزمه وأسره فى بنيه وحفدته وكثير من قرابته ووجد فى سلبه مقلد من فصوص يساوى مائة ألف دينار وأمثال ذلك على أصحابه وكان الاسرى والسبي خمسمائة ألف رأس وذلك سنة ثنتين وتسعين وألف وفتح من بلاد الهند بلادا أوسع من بلاد خراسان ثم فادى جيبال ملك الهند نفسه بخمسين رأسا من القبلة ارتحن فيها ابنه وحفيده، وخرج إلى بلده فبعث إلى ابنه اندبال، فأعطوه تلك القبلة وسار لا يعود له ملك وسار السلطان محمود إلى ويهند فحاصرها وافتتحها وبعث العساكر لتدويخ نواحيها فأثخنوا فى القتل فى أوباش كانوا مجتمعين للفساد مستترين بخمر الغياض فاستلحموهم ورجع السلطان محمود إلى غزنة". (26)

ومن الملاحظة أن منطقة "ويهند"، الآن يوجد بمدينة مردان باسم "هند"، وقال محمد قاسم فرشته بأن هذه المنطقة كانت لها أهمية مركزية؛ لأن راجه جيبال كان يسكن فى ذلك الوقت فى القلعة التى كانت تقع بها" وأتى الدكتور عبد المنعم النمر بالتصريح باسم مديرية "بيشاور"، وويهند"، وقال: "أما محمود فبعد استيلائه على "بيشاور"، سافر إلى بهندا أو ويهند، فحاصرها حتى استسلمت، ثم رجع من الهند فى المحرم سنة 393هـ الموافق 1002م" إن مدينة مردان قد فتحت سنة 391هـ/1000م وكانت فى ذلك الوقت تابعة لمديرية بيشاور، وهذا ما أشار إليه الشيخ أحمد محمد الجوارنه وهو يقول: "جاءت هذه الحملة بقيادة السلطان محمود الغزنوي، حيث جرد حوالي عشرة آلاف فارس، واخضع مدينة بيشاور، وأصبحت من أملاك الدولة الغزنوية". (27)

المطلب الرابع: مردان فى عهد الشيخ: (1233هـ - 1265هـ) / (1818م - 1849م)

المبدأ الأول: بداية عهد الشيخ عام (1233هـ) / (1818م)

يبدأ عصر الشيخ من سنة (1233هـ) الموافق 1818م بإقليم خيبر بختونخوا وحكومتهم فى هذه المنطقة استمرت نحو إحدى و ثلاثين سنة، وفى هذه المدة شنّ الشيخ الحرب على أهالي خيبر بختونخوا وكانوا مشتغلين فى العمليات الحربية فى مناطق الإقليم المختلفة من (1233هـ) / (1818م) إلى (1247هـ) / (1831م)، لأن سيطرة السلطة الدرانية⁽⁴⁶⁾ ضعفت بالمشاجرات الداخلية لتولّى العرش بين ولي عهد وأمراء الأسرة الدرانية فى إقليم خيبر بختونخوا، وبنجاب الكاملة، وكشمير. فتشجّع رنجيت سنغ [رنجبت سنغ - Ranjit Singh]، وكانت غاصبية الأقاليم المذكورة فى سنة (1214هـ - 1247هـ) الموافق (1799م - 1831م)، كما ذكر سر أولف كيرو فى كتابه "دي بتهان" حيث قال: "يشتمل تاريخ الأفغان على المؤامرات القصورية الفخمة وتولّى العرش من أبناء أحمد شاه السدوزي بعد وفاة تيمور شاه من (1207هـ) الموافق (1793م) إلى (1233هـ) الموافق (1818م)". (28)

أولاً: حملات الشيخ خيبر بختونخوا عن الجانب الجنوبي:

بدأت العمليات الحربية للشيخ فى المناطق الجنوبية لإقليم خيبر بختونخوا فى سنة (1233هـ) / (1818م). وفى خمس سنوات سيطروا على مدينة ديره إسماعيل خان، وغيرها منها، لأنها كانت هذه المناطق أقرب عند حدود إقليم البنجاب، كما

ذكر فى الكتاب بختونخوا اليوم [Pukhtunkhwa today]: "بدأت حملات الشيخ فى عام (1233هـ) / (1818م) (فى إقليم خيبر بختونخوا)، وفى ذلك الوقت كان تحالف الشيخ مع الإنجليز بمتابعة رنجيت سنغ ويجعلهم فى الأصل مآلك البلد، واستلم أهل ديره إسماعيل خان لعسكر الشيخ (1233هـ) الموافق (1818م) وقبض الميدان المروت لموضع " بنون " عبر معارك متواليات منذ خمس سنوات". (29)

ثانياً: حملة الشيخ على مناطق شمال الإقليم:

بدأ الشيخ الحملات المتوالية على مناطق إقليم خيبر بختونخوا الشمالية، أى: بيشاور، مردان، ونوشهرة، وصوابى بعد السيطرة على المناطق الجنوبية من الإقليم فى سنة (1237هـ-38هـ) / (23 - 1822م). وهذه العمليات الحربية الاستعمارية كانت مستمرة إلى عام (1247هـ) / (1831م)، فقبض الشيخ إقليم خيبر بختونخوا الكامل.

أولاً هيمن الشيخ على المديرية أتك وضواحي نهر السند، ثم دخلوا فى المناطق الشمالية المذكورة، كما بين سر أولف كيرو أحوال تقدم الشيخ حيث قال: "الآن حرم الدرانيون من كل المناطق التى كانت على ضفة نهر السند الشرقى، وأيضاً حصل الشيخ مأوى لبناء الجسر على ضفة النهر التى كانت عليها حكومة الأفغان ... والمبارزة كانت ضرورية للمخاطر التى لحقت بحكومة الدرانيين، أراد أعظم (أو سردار محمد عظيم خان) أن يهجم على منطقة خيرآباد فى سنة (1237هـ) / (1822م) كي يطرد رنجيت سنغ إلى جانب الآخر من نهر السند، (ولكن) لم تسنح له فرصة للحرب ورجع أعظم بسبب الاضطراب داخل البلد (أى أفغانستان)، لكن رنجيت سنغ وصل إلى حدود منطقتة بسرعه، وأرسل إلى والى بيشاور يار محمد أن يدفع الخراج إليه". (30)

المبدأ الثانى: مقاومة أهل مردان مع الشيخ، وانهمهم فى البداية

اغتم رنجيت سنغ هذه الفرصة النادرة بعد رجوع القائد محمد عظيم خان إلى أفغانستان فهجم على مناطق نوشهرة، ومردان، وصوابى عابراً نهر السند، فاحتدم المعارك المتعددة بين الشيخ والمسلمين من قبائل يوسف زائى من أهل المديرية مردان، وقبيلة ختاك [خٹاک - Khatak]. على شاطئ نهر كابل فى مديرية نوشهرة كان محمد عظيم خان الذى يقودهم، كما ذكر بير معظم شاه فى كتابه "تواريخ حافظ رحمت خاني" حيث قال: "الأفغان (قوم بشتون) انقسموا على جماعتين، جماعة لقبائل يوسف زائى وجماعة أخرى كانت فى قيادة محمد عظيم خان (وكانت هذه الجماعة مشتملة على العسكر الأفغانى للسلطة الدرانية كما سياتى)، وكان نهر كابل حائلاً بينهما، ولذا كل واحدة منهما قبلت مسؤولية طرفهما، وأقرت أن كل فريق يتقدم محاربا فى جبهة القتال له، لذا بدأ يوسف زائى القتال واشتغلوا فيه بشدة حتى هزموا الشيخ فى نوشهرة مقاتلين معهم ودفعم إلى بيرسباك [PIR SABAK] وقد تأكد هزيمة الشيخ وبدأوا يهربون

ولجأ مصنف هندوسى الذى كان موجوداً هناك لأن يكتب أن الأفغان أزعوا الشيخ بكمال البطولة حتى تزلزلت أقدامهم". (31)

المبدأ الثالث: معركة بيرسباك الدامية [PIR SABAK] فى سنة 1823م الموافق (1238هـ)

أغار عسكر رنجيت سنغ على مجاهدى يوسف زائى فى قيادة الأوروبيين لقبض مناطقهم وبعد تدريبات فى قيادة الأوروبيين

صار عسكر السىء عسكرا منظمأ - مثل الجنرال أليارد [Aliard] ووقعت معركة بير سباك فى 13 مارس 1823م الموافق (1238هـ) كما سياتى فى أءوال المعركة تفصيلاً: (32)

أولاً: سبب معركة بير سباك

وذكر محمد شفيع صابر سبب معركة بير سباك حيث قال: "لم يدفع يار محمد خان الخراج والعوائد إلى حكومة السىء منذ سنوات كثيرة ولكنه خاف حين سمع خبر مجيئ عسكر السىء، وكان عسكر السىء فى منطقة راولبندى بأن يار محمد خان أرسل الخراج والعوائد، وفرسات، وهدايا أخرى، مستعذراً من دولة السىء، إذا علم محمد عظيم خان ضعف أخيه وجنبه فتعسف به تعسفاً شديداً، وما كان مناصراً للتصالح مع أعداء الإسلام؛ فلذلك خرج (مع عسكره) من جلال آباد مع العزم الأكيد ليحرر المناطق الحدودية من السىء، فوصل إلى بيشاور فى (1238هـ) / (27 يناير 1823م) كان يار محمد يخاف من الموقف المتصلبة لأخيه؛ لأجل ذلك أنه هرب مع أسرته وأمواله من بيشاور إلى منطقة يوسف زائى من قبل قدوم أخيه، وانعقد عظيم خان الشورى القبائلية (جرگه) مع القبائل بعد سيطرته على بيشاور. وحرّض الناس على الجهاد، وساعده العلماء والمشائخ نظراً إلى الحمية الإسلامية، فلذلك تمّياً الناس للجهاد فجأة من كل إقليم سرحد (خبير بختونخوا الحالى) للجهاد الحاسم ضد السىء." (33)

ثانياً: الإستراتيجية الحربية للسىء

وصل عسكر السىء إلى قرب نوشهره على نهر السند واتجه الى نهر كابل عابراً شمالاً وجنوباً وكان رنجيت سنغ قائداً لهذا الجيش، وبيّن سر أولف كىرو استراتيجية الحرب للسىء فى " دي بهتان " بهذه الألفاظ: "قد انتشر دعوة الجهاد، واصطقت قبائل يوسف زائى على شاطئ النهر فى المنطقة، وكانوا يرفعون الهتافات الحربية، وكانوا يصيحون على ركاب السىء، وركض السىء أفراسهم والحماسة التى وصلوا إلى الجانب الآخر من هذا النهر، وفى هذا الحين عبر كثير من السىء وأفراسهم فى النهر، فتقدم رنجيت سنغ بالثبات مع عدد كبير من جيوشه، وبدأ يجمع السفن، وحمل مدافعه على الأفيال " (34).

وزاد محمد شفيع صابر فى تكتيت عسكر السىء قبل المعركة فقال: "وقسم الأمير جنوده فى ثلاث جماعات بعد عبور النهر، ففي الجماعة الأولى التى كانت تشتمل على مائة ركاب وسبعمائة من لمشاة بقيادة الأمير بهولا سنغ الذى اكتسب سمعة فى فتح ملتان والمهمات الأخرى، كانت عليه بداية الهجوم، وكان القائد للجماعة الثانية لويسا سنغ مجيت ه وفتح سنغ، وكانت مسؤلية هذه الفرقة أن الفرقة الأولى حينما بدأت الحرب فهى تساعدها لكى يشتد الحرب، وقد عين هاتين الجماعتين على يسار شاطئ نهر كابل (الشمالى)، وأما الفرقة الثالثة الكبيرة كانت فى قيادة الأمير كهرك سنغ، وهرى سنغ نوله، والجنرال أليارد والجنرال ونجورا وكان غرضها أن تمنع تقدّم عظيم خان، كى لا يصل إلى ميدان الحرب بعد عبور النهر" وذكر سر أولف كىرو استراتيجية أخرى للسىء فى كتابه حيث قال: "كّف رنجيت سنغ جماعة صغيرة من جيشه على شاطئ النهر الجنوبي، لكى تمنع تقدم أعظم (عظيم). وقرّر حصة كبيرة من ركاب جنوده والماشية لمقابلة القبائل، وكان يعرف جيداً أن أىّ العدو وهو أقوى، وقد قدر الحاكم الدراني قوة جنوده أيضاً." (35)

ثالثاً: استراتيجية المسلمين للمعركة

ولم تشارك القبائل الأخرى بدعوة محمد عظيم خان للجهاد من إقليم خيبر بختونخوا فى المعركة الحربية بعد الشورى القبائلية إلا قبيلتين يوسف زائى وختك، وثبتوا فى ميدان الجهاد، وذكر سر أولف كيرو استراتيجية المسلمين لمعركة بير سباك حيث قال: كانت "الجيش تجمع تقريباً عشرين ألفاً من قبائل يوسف زائى وختك فى هذه المدة، وكان يقودهم السيد أكبر شاه من أسرة بير بابا من بونير، وكان رجلاً معروفاً، ويجمع هؤلاء الناس على تلّ بيرسباك، وفى خلال هذه الفترة تقدم أعظم خان مع جيشه من كابل إلى بيشاور بشارع كبير، ولكنه ما كان مطلعاً أن عسكر القبائل التى يناصره وهى موجودة بطرف آخر من هذا النهر، وكان يشك فى وفاء إخوانه، لأجل ذلك ما عبر النهر، ووقف على بُعد ثلاثة أميال من الجانب الشرقى بالثكنة العسكرية لمدينة نوشهرة الحالى." (36)

رابعاً: أحوال المعركة وسبب هزيمة المسلمين

إن رنجيت سنغ وعسكره كان يشن الحروب على مخالفيه باعتداء سافر، والصارخ ولكنه لم يستطع أن يبارز مجاهدي يوسف زائى فى المعارك المتوالية كما بين بير معظم شاه أحوال المعركة فى "تواريخ حافظ رحمت خاني" وقال: "وبدأت المحاربة فى سنة (29 جمادى الثاني 1238 هـ) / (13 مارس عام 1823م) بين الجيشين فى المقامات المذكورة، ودارت المعركة على شاطئ النهر، ولكن الشيخ لما تيقنوا أن المقابلة من جانب عظيم خان كادت أن تكون معدوماً. وعلى يد حارب يوسف زائى حرباً شديداً فأرسل الشيخ عسكره الذى كان فى جانب عظيم خان إلى طرف النهر الآخر فى قيادة الجنرال اليارد (Aliard). وكان اللازم على عظيم خان أن لا يترك جيوش الشيخ المعاونة تعبر النهر، ولكنه ما فعل هكذا، بل ما ساعد يوسف زائى أى مساعدة، وعبر عسكر الشيخ النهر بدون مانع بسبب جبن جيش عظيم خان وضعفه وعدم التجربة والحيرة ليوسف زائى، وقد حارب شباب يوسف زائى بالشجاعة والبسالة، فإنهم أرجعوا أربعة حملات للشيخ متوالية، وكادوا أن يهزموا عسكر رنجيت سنغ هزيمة كاملة، ولكن رنجيت سنغ تقدم بنفسه فى الهجوم الخامس." (37)

زاد سر أولف كيرو أحوال المعركة وشجاعة المجاهدين من قبائل يوسف زائى وختك بهذه الألفاظ: "قد هجم قبائل يوسف زائى وختك بشجاعة على المشاة المدرب والمنظم من عسكر الشيخ، وأعكسوا صفوف العدو، وارتفعت الروح المعنوية لقبائل وحقق بها تقدمهم، ولكن منعتهم من التقدم كتيبة من عسكر الشيخ الموسومة بـ "كوركها" وأطلقت الرصاصات متواصلًا لكي تمنع تقدمهم إليها، وقذفت عليهم مدفعات الشيخ القنابل من طرف آخر، ولكن ما ضعفت بها همة القبائل.. كان رنجيت سنغ موجوداً بنفسه لتشجيع جماعته المدافعة، واعترف رنجيت سنغ عند الكولونيل ويد، الذى كان الوكيل البريطانى فى زملائه، بأن كوركهى كانوا ثابتين وقت هجوم القبائل من جيوشه المدربين." (38)

ذكر بير معظم سبب عدم معاونة عظيم خان وإخوته مع يوسف زائى فى المعركة حيث قال: "أمر رنجيت سنغ بهجم كل العسكر فى قيادة الجنرال ونجورا (Ventura) على يوسف زائى، وأما عظيم خان وإخوته كانوا يشاهدون المعركة من شاطئ النهر الآخر وما عاونوا يوسف زائى أى قسم من المعاونة، وكان السبب الأساسى أن رنجيت سنغ أعطى الرشوة لإخوة عظيم خان،

وكانا لا يريدان الحرب مع الشيخ، وكان كامل خزينة عظيم خان وعائلته فى موضع مجني (michni)، وكان يتفكر فى خزينته وعائلته دون يوسف زائى. وكان يعرف أن أخويه الأمير يار محمد خان والأمير سلطان محمد خان كانا فى حماية الشيخ. وإن عبر النهر بجنوده فى هذه الكيفية لكان ينهزم وقبضت خزائنه الكاملة ونساءه من يده إلى قبضة العدو." (39)

المطلب الخامس: السيد أحمد الشهيد فى مردان (1241هـ - 1247هـ) ((1826م - 1831م)).

أولاً: السيد أحمد الشهيد

بعد معركة بيرسباك، قد دارت معارك كثيرة من (1241هـ) / (1826م) إلى (1247هـ) / (1831م). بين الشيخ والمجاهدين الذين كانوا متبعي السيد أحمد الشهيد فى مواضع كثيرة من مردان مثل- مايار [MAYAR]، ومردان، وبنجتار [PANJTAR]، كما سيأتى تفصيلها فى المطلب الرابع والخامس والسادس. واجتمعت قبائل يوسفزائى تحت لواء السيد أحمد الشهيد ضد الشيخ والبغاة، واتخذ السيد أحمد الشهيد بنجتار (كان موضعاً من المديرية مردان فى ذلك الوقت) مركزاً عسكرياً للنشاطات الحربية فى المنطقة. وهذه السنوات الخمسة كلها كانت صورة عملية من الكر والفر ضد العدو الخارجى والداخلى فى ميدان الجهاد، فنذكر تفصيل جهود السيد فى الصفحات القادمة. (40)

ثانياً: استيطان السيد والمجاهدين مديرية مردان

ذكر بير معظم شاه السبب الأساسى لاستيطان السيد أحمد الشهيد والمجاهدين مناطق مردان حيث قال: "فى ذلك الوقت، كانت خطة يوسف زائى مركزاً لنشاطات المجاهدين، وأكثر مواضعهم كانت مأمونة من المهاجمين الخارجين، ودائماً قد ظهر المجاهدون من قبائل يوسف زائى الحمية الإسلامية والشجاعة ضد الشيخ". (41)

ثالثاً: اتحاد قبائل يوسف زائى مع السيد أحمد الشهيد

حينما وصل السيد أحمد الشهيد إلى مناطق مردان فرأى أن أمراء الشيخ كانوا يظلمون على أهلها، وكان السيد أكبر قائد يوسف زائى فتعاونت قبائل يوسف زائى فى قيادته مع السيد أحمد الشهيد ضد حكومة الشيخ كما ذكر سر أولف كيرو فى كتابه حيث قال: "فى أول نظر تعجبت كيف نجح السيد أحمد الشهيد أن تأثر منه القبيلة المتحاربة يوسف زائى؟ ومن الإمكان هذا أمر مفهوم أن قبيلة مندر من يوسف زائى أعجبتها فكريات السيد أحمد الشهيد، وحصل له مقام كبير والمحبوبة لأجل الصداقة مع السيد أكبر ودماثة أخلاقه، وما كان بينهما قرابة الدم، ولكنهما كان يكرهان الشيخ الظالم.. فجاء السيد أكبر مع أخيه الصغير عمر شاه لاتباع السيد أحمد الشهيد وكان هذا من عظيم أخلاقه أنه هيا نفسه رفيقاً للسيد أحمد الشهيد وأتى السيد أحمد الشهيد لاستنقاذ الناس من ظلم الشيخ". لأجل ذلك قبل السيد أكبر إطاعته بسرورة وبهجة وجاء بمتبعيه. (42)

رابعاً: مبايعة الجهاد وتولية الإمارة إلى السيد الشهيد:

قد اتفق العلماء والرؤساء وزعماء القوم فى اجتماع بأن يبائعوا السيد الشهيد وأن يولوه إمارة الجهاد وتنظيم شؤونه، فبويع فى عام (7 رجب 1243هـ) الموافق (11 يناير سنة 1827م). فصلى بالناس الجمعة وخطب له وذكر اسمه على المنابر،

فازداد المسلمون عددا وقوة حتى بلغ عددهم إلى ثمانين ألفا. (43)

خامساً: المعركة الأولى بين الشيخ وجيش الإسلام:

اشتهرت هذه المعركة باسم حرب أكورة، وقدم السيد أحمد مع جيشه إلى نوشهريه وعسكر هناك، وسرح الشيخ القائد بده سنغ فى سبعة آلاف فأقام على بضعة أميال من معسكر المسلمين، فلما بلغ السيد مسيره تعباً واستعد للقتال وسير تسعمائة من أتباعه المعروفين بالنجدة والبأس وأمرهم بالإغارة ليلاً فأغاروا عليهم واشتدت الحرب وطال القتال حتى كان لهم الفتح بإذن الله، وانهمز الكفار فقتل منهم سبعمائة وأصاب من المسلمين اثنان وسبعون ما بين قتيل وجريح. (44)

سادساً: المعركة الثانية بين الشيخ وجيش الإسلام:

بلغ السيد الشهيد أن الجيش كان كثير العدد للشيخ وقد عسكر فى شرق نهر السند وفى أطراف مدينة حضرو فسير عدداً من أتباعه فأغاروا على جيش الشيخ ليلاً وهزمهم وقتلوا منهم عدداً كبيراً وأسروا الآخرين، وحصل لهم من أموال الغنائم ما قدر ثمنه بمئات آلاف (45).

سابعاً: غدر يار محمد خان

فى معركة شيدو لما غلب جيش الإسلام الفجرة وقتل القائد بده سنغ غدر الخائن يار محمد خان وفر هو وأصحابه من المعركة مما أسفر عن خسارة كبيرة لجيش الإسلام، ويظهر أنه كان على اليقين من الشيخ أنهم سيولونه تولية هذه المنطقة وأمراتها إذا حالفهم وساعدهم ضد جيش الإسلام. (46)

ثامناً: معركة أتمان زئي ضد بارك زئي

لما علم المنافقون أنه ظهر مكرهم وغدرهم جعلوا يحاربون السيد الشهيد علانية ونصبوا له العداوة فقاتلهم السيد الشهيد فى موضع أتمان زئي، فكان الفتح حليف جيش الإسلام، وبدأ جيش الإسلام يطاردهم وقاتلهم فى مواضع عديدة إلى أن قتل قائدهم يار محمد خان فى موضع زيده مع ثلاثمائة من أصحابه. (47)

تاسعاً: معاملة السيد الشهيد مع الشيخ

أرسل رنجيت سنغ وفداً إلى السيد الشهيد وأظهر رغبته فى الصلح وإخلاء المناطق الغربية كلها لجيش الإسلام على شرط ألا يتجاوز الجيش منها إلى المناطق الشرقية والغربية، وكان السيد الشهيد أرسل وفده فى جوابه إلى الجنرال وتورا لكن لم يتفق الفريقان على الصلح. (48)

عاشراً: التحديات التى واجهها السيد الشهيد والمقصد المطلوب من جهوده

تفطن السيد أحمد الشهيد إلى أن الظروف القاسية والأوضاع السيئة التى يعيشها مسلمو الهند ولا سيما مسلمو "بنجاب" لا ينقشع سحابها بدون أن تكون لهم سيطرة مستقلة وكلمة نافذة- أى سلطة ودولة- فرأى أن الإسلام فى هذه البلاد يعانى ضعفاً ويمتاز فترة إضمحلال شديد ولو لم يقم لإسعافه أولو العزة والإيمان من المسلمين لكان للهند آخر عهد بالإسلام، وعلم حقاً أن دواء هذا الداء ليس فى الوعظ والإرشاد فحسب و أن مجالس الدرس والتركية الباطنية لا تغير فى الوضع شيئاً... وإنما

كان يعتقد حقّ الاعتقاد ويؤمن أقوى الإيمان بأن الإسلام والمسلمين بحاجة إلى القوة.

ولما رأى السيخ يستعبدون المسلمين ويصبّون عليهم من الظلم والقسوة والعذاب ما يفتت القلوب ويفلق الأكباد عزم على الخروج فى سبيل الله دون أن ينتظر الفرصة الأخرى، لكن للأسف الشديد لم يتوقف الحرب بينه وبين السيخ فقط بل حالف السيخ رؤساء سرحد والخوانين الذين لا هم لهم إلا البقاء فى السيطرة والحكم، فاضطر لمحاربتهم قبل أن يحارب السيخ. (49)

إحدى عشر: شهادته فى بالاكوت

يكتب محمد شفيع صابر عن استشهاده فى كتابه تاريخ سرحد: توجه السيد الشهيد إلى بالاكوت [بالاكوت - Blakote] وسد الطرق والثغور، وأجلس على ثغر بعض من لم يكن ينبغى أن يعتمد عليهم، فأخذوا من السيخ الرشوة ودلوهم عليه، وأدخلوا الثغر، فلم يشعر المسلمون بهم حتى هجموا عليهم فبادر السيد وأصحابه لقتالهم حتى لقوا ربهم وبلغوا منتهى أملهم وأقصى أجلهم بتاريخ (1247هـ) / (6 مايو 1831م). (50)

المطلب السادس: معركة مايار (1245هـ) الموافق (1830م)

إن أكثر من المؤرخين لم يعبّوا تاريخ هذه المعركة فى كتبهم، ولكن الآثار التاريخية تدل على أن هذه المعركة قد وقعت فى سنة (1245هـ) / (1830م) بعد مدة قليلة من معركة مردان، "مايار موضع فى مردان بين تورو وهوتي، فى جانبها الشرقى واقع شاطئ نهر كلباني التى تجرى بماء العيون الطبيعية، وعين السيد أحمد الشهيد بعض القندهاريين من الجيش لحفظ هذا النهر، فهم مكتنوا لها ليلا ونهارا وقال محمد إسماعيل: إن سلطان محمد خان قد عاهدكم بالقتال غدا، ومن الممكن أنه هو يأتى بمبكر إلينا ويحتل قرية مايار وهذا النهر، فنفقد الماء والقرية وحول المايار جدار غير ثابت، وهو مكان سهل للقتال، فعليكم أن تهموا فى هذا المجال:" فأعجب لسيد بمقاله تأييداً لإقتراح مولانا إسماعيل، وأمر مولانا لعل محمد ومولانا قطب الدين بالذهاب مع مأتى رجل على الفور ليقبما مرصدا وخطا دفاعيا على النهر." (51)

ولو كانت مقابلة شديدة ما بين درانيين فلا يكون ماشيا أو راكبا، وفى الحقيقة كان أكثر من المصلين فى صلاة الصبح بمقابلة فى اليوم القادم، دعا الله برأس أوفد إليك" جاء فى هذه الوقت مولانا لعل محمد بطريق نهر مايار. بالخبر أن فى هوتي طبل الدرانيين، ثم انتبه، فى وقت المساء استحلفه من العمائد الجيش بمقابلة عميد سلطان محمد خان، وبأى صورة لا تنحرف من الميدان، ورسخ الرماحين فى أطراف وجعل الباب، وشد الرءاء على الرماحين ووضع فيه القرآن، فذهب كل الجيش إلى الميدان تحت القرآن، ثم جاء فى هذا الوقت الشخص من جيش المجاهدين، وقال بصوت عال: انتبهوا أيها الجيش، سوف يأتى جيش درانيين، وقال لسيد صاحب المرء قليل فى موضع نهر مع لعل محمد، لما سمع سيد أحمد شهيد هذا الخبر، قام من مجلسه، وتوجه إلى الله سبحانه وتعالى بالدعاء والبكاء، ثم لحق بجيشه، ولما وصل إلى الموقع (النهر) بين تورو ومايار، عبر هذا النهر، بتكتيك الحربى، ورتب الصفوف مرة ثانية بعد عبور النهر،.. لما وصل إلى موضع مايار، فى موضع مايار استعداد الجيش للمواجهة، وقبل البدء بالحرب خطب الناس، قال لا أحد يحارب إلا بإذنى ولا يستعمل السلاح،" وكان جيشه يحتوى على ثلاثة آلاف وخمسمائة محاربا، فيهم أهل البلد والأجانب، ويحتوى جيش دراني على ثمانية آلاف مقاتل، ولما رأى صفوف جيش دراني،

فقدم جيش ماشيا، ثم بدأ إطلاق المدفعية النيران على جيش درانيين، أمر سيد أحمد الشهيد الجيش ماشياً، أيها الإخوة: أسرعوا، وقبض إطلاق المدفعية، ورفل بنفسه ماشيا، وهو كان فى صف الأول، ومحمد إسماعيل والمحافظين أخرى أيضا معك، لما كانت بدأت مدفعية الجيش من درانيين، فصعد بالجيش حتى بلغ موجات النهر، زانضمت مدفيعتهم صفوفهم بالسريع، وفى هذا الوقت كانوا ثمان مائة رجلاً من جماعة دراني، بغضب شديد واستلب لحيته فى الإنسان وهجم بجيش ماشياً، وكل رئيس عطشان دم السيد أحمد شهيد رحمه الله، وقالو: أين السيد؟ أين السيد؟ فأجاب السيد أحمد الشهيد رحمه الله: السيد هنا. السيد هنا. فى هذا الوقت قبض السيد أحمد مدفعية دراني، وأمر للجيش اهجموا بالصفوف، وكان السيد أحمد أطلق البندقية باستمراراً، وخسر قليل فى هذه المعركة من جيش السيد أحمد الشهيد، لكن كومة الناس فى هذه المعركة من جيش دراني، عدة جنديين اختار المراجع من المعركة، وقبض مجاهدين مدفعية دراني، وأهلك درانيين، وقتل فى هذه المعركة حوالي ثلاثة آلاف، قد اشترك فى هذه الناس رؤساء جري، قتل من المجاهدين فقط عشرون رجلاً وجرح منهم مثلها، وكل الأشياء تركت من درانيين مثل: الغنائم، والفرس، والبنادوق، والخيام، فأخذها المجاهدون، و"كان المجاهدون فى العطش الشديد جدا بعد الفراغ من المعركة، ثم جاء هؤلاء المجاهدون إلى النهر، وهي كانت بقرب مايار، وجاء الناس من هذه المنطقة مع مملوء البرك من الماء وسقاه المجاهدين سقيا، وأقام السيد أحمد الشهيد رحمه الله والمجاهدين وقتاً طويلاً فى هذا المقام، ولما غربت الشمس، فرجع إلى كرهى قريب من المايار." (52)

المطلب السابع: أسباب زوال الحكومة الإسلامية فى مدينة مردان:

فوقع الاختلاف بين الناس، لأن عند القبائل جائز أن يكون نفذ العشر لجانب الشيخ، ولكن عندما بدأ بالتبليغ السيد أحمد الشهيد، أن الفتاة إذا وصلت سن البلوغ تتزوج، وتريد القبائل يوسف زائي أن بدلت هذه الطريقة لكي تصل الفتاة إلى أكثر العمر وهم لا يتزوجون بها، وأراد السيد أحمد الشهيد أن يقلع هذا الرسم وغيره، وكان كثير الناس جاهلين من الأصول الشرعية وليس فيهم رجل رشيد، إن يريد أن يزوج أتباع المحتاج لهذه الفتاة، فالقبائل انفجرت من الغضب، وبدأت المؤامرة لخلاف السيد أحمد الشهيد، وتوجهت هذه المؤامرة إلى هزارة، عندما ذهب إليها، فترك كثير من الأتباع فى منطقة يوسف زئي، وكان هناك جبلاً، اسمه "كره مار"، فهذا على هذا الجبل توجد الأشجار والديودار (إسم شجرة)، وهذه الأشجار برأى الناس من حديقة كائيد ميس (Guide mess)، وهي مكان مقدس، لأن هناك ظلال الأشجار، وقطع الأشجار يعد معصية، وفى هذه السنة ظاهر الشعلة على الجبل، و"كان شاعر أمان أخوند من منطقة (كجرات) مردان الذي كتب نشيط بهذا الموضوع، وكتبه بذكر سيد أحمد الشهيد، هذه النشيط نموذج عن هم وغم، واعترف بمدة طويلة قبائل يوسف زي،" وكان أسس السيد أحمد الشهيد الجيوش المختلفة، فهذه الجماعة تبقى بمدة طويلة. (53)

خلاصة البحث:

وفىما يلي أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

1- أن التاريخ على العموم والخصوص محل الضبط والجلب، لأن التاريخ معدن فيه كنوز شتى ينتزع منه العظة والعبرة.

- 2- اهتم بعض المؤرخين بأن قاموا بكتابة التاريخ من مناطق مهمة وحرزوا قصب السبق فى كل فن من علماء مردان.
 - 3- أن التاريخ سبب تشريح وتصريح فيما لا نعلمه كما عرفنا فى الفروع أى العلوم الفرعية.
 - 4- أثبتت الدراسة أن مردان مدينة ذات صلة بالماضى والحاضر فلها الدور الأكبر فى الحضارة والإستقلال ونهضة باكستان حديثاً.
 - 5- بينت الدراسة أن المدارس والجامعات فى مردان كان لها أبلغ الأثر على المجتمع حيث تخرج العلماء فى مختلف الفنون، وظهرت لهم الكتب العلمية المتنوعة.
 - 6- ساهم العلماء ليس فى النهضة التعليمية فى مردان وحسب بل ساهموا فى انشاء المدارس والجامعات وتقلدوا أعلى المناصب العلمية والإدارية.
 - 7- أسهمت مردان بنصيب وافر فى عالم السياسة، فخرج منها برلمانيون وأصحاب مناصب أخرى سياسية وعسكرية وغيرها.
 - 8- الآثار الحضارية فى مردان عصرالدراسة هي برهان على اسهام هذه المدينة فى حضارة الباكستان والحضارة الإسلامية.
- على كل حال أرجو من الله أن يتقبل منى هذا العمل، وأن يجعله خالصاً لوجهه، وإنه سميع مجيب الداعين، هذا البحث إن كان فيه من توفيق فمن الله، وإن كان غيرها فمنى ومن زلات الشيطان، وحسى أنى اجتهدت والله من وراء القصد.
- سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت عليم حكيم وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أمين.

المصادر والمراجع:

- 1- دانش كاه بنجاب: اردو دائرة المعارف الإسلامية، لاهور، 1389هـ ص 321
- Danish gah: urdu Daira tul maharif alislamia, Lahore, 1389,p,321.
- 2- دلزك، اثر جان، بشاور خيرى بختونخواه، 2012م، ص 129
- Dilzak written by asar jaan, Peshawar khaiber Pakhtunkhwa, 2012, p,129.
- 3- پروفيسر إحسان على شخصيت اور كردار: آشتر يوسف مسيح. عدنان پرنٹر- مردان، 2012م، ص 116
- professor Ihsan Ali, shakhsiat aur kirdar: Aashir Yousuf Maseeh: by published, Adnan printer, Mardan, 2012, p,116.
- 4- تاريخ دارالعلوم ديوبند: الشيخ محمد طيب. دارالاشاعت كراچي، 1972م، ص 233
- History of Darul Ulum Deoband by Shaikh Muhammad Tayyab,published, darul ishat, karachi, 1982, p, 233.
- 5- باكستان كا ثقافتى إنسانكيلو بيديا، أين ديليو، أيف، بي، الفيصل ناشران وتاجران كتب، اردو بازار لاهور، ص 87
- Pakistan ka sqafti insaikilo pidya by N,W B, published, alfaisal, nasharan wa tajiran kutub khana, Lahore, p,87.
- 6- المصدر السابق: ص 78
- P:p, 78
- 7- تواريخ حافظ رحمت خاني، پير معظم شاه: پشتو اكي ڈمى، پشاور، 1971م، ص 56
- History of hafiz rahmat khani,by peer muhazm shah, published, Pashto academy Peshawar, p 56.
- 8- أيضاً: ص 210

Ibid: p, 210

9- ثقافت سرحد تاريخ كے آئينے میں، جاوید اقبال، الفیصل ناشران، اردو بازار: لاہور پاکستان، عام 2002م، ص 145
Sqafat Sarhad tareekh ke aynay me by javeed Iqbal, published alfaisal nashiran, Lahore, Pakistan, 2002, p, 145.

10- أيضاً: ص 278

Ibid:p, 278

11- مشاہیر علماء دیوبند، حافظ اکبر شاہ بخاری: ادارہ اسلامیات کراچی، 1990م، 175
Mashyeery Ulmay deoband by hafiz Akbar shah bukhari, published, idara, islamiyat, karachi, 1990, 175.

12- المصدر السابق: ص 21

P:p, 21.

13- اکابر علماء دیوبند، حافظ محمد اکبر شاہ بخاری، ادارہ اسلامیات لاہور، 1999م، 190
Akaber ulmay deoband, by hafiz Muhammad akbar shah bukhari, published, idara islamiyat, Lahore, 1999, p190.

14- علماء سرحد کی تصنیفی خدمات، حافظ قاری فیوض الرحمان: ص 89
Ulmay Sarhad ke tasnifi khidmat by hafiz qari fyous ur Rahman, p, 89.

15- المصدر السابق: 90

P:p, 90.

16- جہیز جوری کی رسم، رفیق احمد: الناشر: توحید بلیکیشنز بنگلور ہند، الطبعة الثانية، 2008م، ص 77
Jahiz chori ki rasam by rafiq ahmad, published, twheed publications, banglor india, 2008, p, 77.

17- أيضاً: ص 77

Ibid:p, 77.

18- مشاہیر علماء، دکتور فیوض الرحمن: فرنٹیر پبلشنگ لاہور، 1993م، ص 55
Mashaheer ulmah by Dr, fyous ur Rahman, published, frindiar publishing Lahore, 55.

19- أيضاً: ص 65

Ibid: p, 65.

20- یوسفزی قوم کی سرکڑشت، روشن خان: روشن خان اینڈ کمپنی، 1986م، ص 45
Yousuf qaum ke sarkzisht by roshan khan, published roshan khan and company, 1986, p45.

21- المصدر السابق: ص 78

P:p, 78.

22- تاریخ پشاور، رائے بہادر گوپال داس منشی (1869م) گلوب پبلیکیشنز: لاہور. 1985م، ص 55
History of peshwar by ray bahdor gopal daas munshi, published, glop publications, Lahore, 1985, p55.

23- دي پٹھان: سر اولف کیرو، ترجمہ: سید محبوب علی: پشتو اکیڈمی پشاور، 1967م، ص 80
Di pahtan, by sir ulaf keer, tarjuma syed Mehboob ali, published, Pashto academy peshwar, 1967, p, 80.

24- مسلمانان صوبہ سرحد کی تعلیم، سید مصطفیٰ علی بریلوی: آل پاکستان ایجوکیشنل کانفرنس کراچی، 1980م، ص 66
Muslimanane subah sharhad ki taleem, by syed mustfah ali brelwi, published, al Pakistan educational kanfrans, karachi, 1980, p66.

25- المصدر السابق: ص 219

P:p, 219.

26- بشتون تاریخ کی آئینی می، سید بہادر شاہ ظفر کاکاخیل: یونیورسٹی بک ایجنسی- پشاور، 2007م، ص 67

Pashto tareekh ka ayine me by syed bahdur shah zafar kakakhail, published, university book ijinsi peshwar, 2007, p67.

27- سيرة سيد أحمد شهيد، سيد أبو الحسن على ندوي: ألقادر ناشران كتب لاهور، ص 128

Seert e syed ahmad shaheed, by syed abu alhasan ali nadvi, published, alqadir nashiran kutob khana Lahore, p,128

28- باکستانی مسلمانوں کی رسوم و رواج، شاهد حسین رزاقی ناشر، ادارة ثقافت اسلامیة لاهور 1965م، ص 155

Pakistani muslimano ke rasoom o rewaj by shahid Hussain rzaqi, published by idara sqaft islamia Lahore, 1965,p155.

29- أيضاً: ص 123

Ibid: p,123.

30- زمونک مجاہدین، عبد الحلیم اثر افغانی، محكمة نشر و إشاعت بشاور 1968م، ص 64

Zmung mujahideen by abdulhaleem asar afghani, published, mahkama nashro ishat Peshawar, 1968,p,64.

31- المصدر السابق: ص 50

P:p, 50.

32- قائد اعظم اور سرحد، عزیز جاوید، إدارة تحقیق وتصنیف بشاور، عام 1976م، ص 163

Qaid azam aur Sarhad, by aziz javeed, published idara tahqiq o tasneef Peshawar, 1976, 163.

33- أيضاً: ص 127

Ibid:p, 127.

34- تاریخ صوبہ سرحد، محمد شفیع صابر، یونیورسٹی بک ایجنسی: پشاور. 1986م، ص 121

History of subah Sarhad, by Muhammad shafi sabri, published university book ajinsi, Peshawar 1986, p121.

35- أيضاً: ص 56

Ibid:p,56.

36- پاکستان کی سیاسی ودھیری، عقیل عباس جعفری: جھانگیر بکس، 2007م، ص 66

Pakistan ki siyasi w dahri, by aqeel abbas Jafri, published, jahngeer books, 2007,p.66

37- أيضاً: 231

Ibid:p,231.

38- المصدر السابق: ص 128

P:p,128.

39- پاکستان کا ثقافتی انسائیکلو بیڈیا (صوبہ سرحد)، عکسی مفتی: الفیصل ناشران تاجران، 2007م، ص 56

Pakistan ka siqafti insaiklopedia suba Sarhad by aksi mufti, published, alfaisal nasharan wa tajiran, 2007, 56.

40- أيضاً: ص 113

Ibid:p, 113.

41- شخصیات سرحد، محمد شفیع صابر: یونیورسٹی بک ایجنسی: پشاور. 1989م، ص 122

Shakhsiyat Sarhad by Muhammad shafi saber, published university book ijinsi 1979, p 122.

42- المصدر السابق: ص 203

P:p,203.

43- تاریخ فرشته، محمد قاسم فرشته: المترجم: عبد الحي خواجه، الميزان ناشران وتاجران كتب، اردو بازار لاهور، باكستان، عام 2008م،

87

Tareekh e farishta by Muhammad qasam farishta, mutarajum abdul hay khawa, published, almeezan nashiran Lahore, Pakistan, 2008, p87.

44- تذكرة علماء خيرى بختونخواه، محمد قاسم: دارالقرآن والسنة سوابى، 2015م، 128

Tazkira ulmay khaiber Pakhtunkhwa, by Muhammad qasam published darul quran,swabi, 2015, 128.

45- حيات وخدمات الشيخ محمد احمد، محمد رحيم حقانى. شعبة تصنيف و تاليف دارالعلوم شير كر، 2012م، 234

Hyat e khitmat ul shaikh Muhammad ahmad by Muhammad Raheem haqani, published, shuba tasneef daralulom shair gar, 2012,234.

46- أيضاً: ص 131

Ibid:p,131.

47- تذكرة علماء ومشاىخ سرحد، محمد أمير شاه قادري: 1972م، ص 219

Tazkira ulma w mashaikh e Sarhad, by Muhammad ameer shah Qadri, 1972,p,219.

48- أيضاً: ص 138

Ibid:p, 138.

49- مولانا عبد القيوم حقانى جمال يوسف، القاسم اكيدمي نوشهرة، 2004م، ص 198

Molana abdul qayoum haqani by jmal Yousuf, published alqasam academy noshehra, 2004, p, 198.

50- أيضاً: ص 133

Ibid: p, 133.

51- حضرت مهتمم صاحب اور أن كا خاندان، مولانا محمد كمال. 2014م، ص 245.

Hazart muhtamem sahib aur un ka khandan by molana Muhammad kmal,published 2014, p,245

52- صوبه سرحد كى علماء كى سياسى خدمات، مولانا عبدالديان كلیم: مكتبة شجاعت بشاور، مارس 2001م، ص 165

Subah Sarhad ke ulmah ki siyasi khidmat by molana abduldyan Kaleem,published, maktba shujait Peshawar, 2001, p, 165.

53- أيضاً: ص 220

Ibid:p, 220.